الفصل الثاني عشر

صدروني بالتليفون لأنني تدخلت في الأزمة بين الملك وحيدر "باشا" !

يجب أن أعود قليلا إلى الوراء.. وبالضبط إلى الأشهر القلائل التى أعقبت حريق القاهرة، وسبقت الثورة..

تصور فاروق أنه قد فعل شيئا، وأنه قد تغلب على العاصفة التى كادت أن تجتاحه مع حريق القاهرة، فلم يحاول أن يصلح من أخطائه أو أن يكف عن فساده ومباذله..

وكان أن إندفع يجرى وراء شهواته وملذاته..

وتحجرت مشاعر فاروق فلم يعد يبالى كثيرا بكل ما كان الناس يرددونه عنه، أو عن أمه وأخواته..

ولا أريد أن أقول أنها كانت أشهر حاسمة فى حياة فاروق كلها كملك، فقد ظل يتردد فى كل ليلة على نادى السيارات، وكان يسهر حتى الفجر فى لعب القمار..

وحاول إلهامي حسين مرة أن ينصحه بالكف عن لعب القمار فى النادى..

وثار الملك فى وجه إلهامي حسين وهو يقول له:

- نلعب فى البيوت إزاى.. أنا النادى إعتدت عليه.. ومستحيل أسيبه وألعب فى مكان تانى..

ولم ييأس إلهامي حسين وكان أن قال للملك صراحة أن كلام الناس قد تزايد، كما قال له أن شائعات كثيرة تنتشر فى كل يوم حول ما يجرى فى سهراته..

ولكن فاروق لم يمهله حتى يكمل كلامه، وكان أن قاطعه، وهو يلوح بيديه فى وجهه، . ثم قال له بتأفف:

- خلى الناس تقول إلى هى عاوزاه، والمهم.. أنى حالعب هنا فى النادى.. ولم ينتظر فاروق فقد قام من مكانه ثم اتجه إلى حجرة القمار وهو يقول لإلهامي حسين:

- يلا يا راجل نلعب.. بلاش خوف..

وقامت وراء الملك شلة القمار الخصوصية، وكانت تضم محمد سلطان.. وكليمان.. وداود عدس..

* * *

وحدث فى تلك الأيام أن تسلل بعض الشبان أثناء الليل وملأوا حوائط أسوار قصر عابدين الخارجية من ناحية الميدان بشعارات وشتائم لاذعه ضد الملك.. لقد كتبوها بزهرة الغسيل الزرقاء..

- يسقط فاروق إبن ال.. وكانت هناك شتائم وعبارات أخرى من كل نوع.. وبعض هذه العبارات كانت تشير إلى تصرفات والدته الملكة نازلى فى أمريكا.. وعرف المسئولون فى القصر بما كتبه هؤلاء الشبان على حوائط القصر، فأصيبوا بالذعر والفزع..

تصوروا أن الملك سيثور، وأنه قد يأمر بمعاقبة كل رجال الحرس الملكى الذين كانوا يباشرون نوبة الحراسة حول القصر..

وفى نفس الليلة تلقى ضابط الياوران فى قصر القبة إشارة سرية من قصر عابدين تضمنت تقريرا عما حدث..

كانت تقول أنه تبين من التحقيقات السريعة التى أجريت أن هؤلاء الشبان قد غافلوا الحراس أثناء تغيير نوبة الحراسة، وقاموا بكتابة هذه الشتائم على جدران القصر؟

ولم ينتظر ضابط الياوران بمجرد أن تسلم الإشارة السرية، وبادر بحملها إلى الملك..

وشاءت الصدفة أن أكون موجودا فى تلك اللحظة مع الملك، وقد شاهدته عندما قام بقراءة هذه الإشارة السرية كما سمعته وهو يقول للضباط:

- إضرب تليفون لعابدين.. وشوف كان مكتوب إيه على الحيطان بالضبط..

وذهب ضابط الياوران ثم عاد بعد عدة دقائق وهو يرتجف من الخوف..

كان فى أشد حالات الارتباك، لعدم معرفته بما يمكن أن يقول للملك.. هل يقول له.. أنها عبارات بذيئة وأنه لا يقوى على نقلها حرفيا إلى الملك..

ولمحت الضابط، وهو يقدم رجلا ويؤخر الأخرى، وهو يدخل إلى مكان الملك ولا أعرف.. ماذا حدث، فقد تراجع الضابط فجأة، ثم أشار إلى بطرف أصبعه حتى ألحق به بعيدا عن مكان الملك..

وأدركت أنه قد تحرج كثيرا فى أن ينقل العبارات التى كتبت على الحائط بحرفيتها إلى مسامع الملك..

ولم يكن فى وسعى إلا أن أبادر بنجدته، وكان أن قمت من مكانى بعد أن استأذنت الملك، ثم ذهبت إليه..

كان يرتجف من الخوف وهو يقول لى:

- يا أفندم.. الكلام وسخ خالص.. مقدرش أقوله للملك..

وأخذت أهدئ من روع ضابط الياوران، وأنا أستدرجه فى الحديث حتى عرفت منه كل التفاصيل التى عرفها بالتليفون من عابدين.. !

عدت إلى الملك، وأنا أقول له:

- الجماعة فى عابدين خايفين يقولوا إيه المكتوب على الحيطان.. والظاهر إنه كلام وسخ خالص..

ترددت أنا أيضا فى أن أنقل العبارات بحرفيتها إلى الملك خشية أن يثور أو أن يهيج فى وجهى..

وكانت المفاجأة المثيرة عندما ألتفت ناحيتى، وهو يقول:

- وسخ.. مش وسخ... يالا بينا أنا رايح عابدين أشوف الحكاية إيه.. ؟

وذهبنا إلى عابدين وأنا فى أشد حالات الانزعاج، وقد ظللت أحسب الدقائق طوال الطريق..

تصورت أن الملك سيقلب الدنيا كلها رأسا على عقب، وأنه سيثير ضجة كبيرة بمجرد أن يقرأ العبارات التى كانت مكتوبة على حوائط القصر..

وتبادر إلى خاطرى أن أتوارى من جانبه بمجرد أن نصل إلى القصر..

ولكن كانت مفاجأة أخرى إهتز لها كل كياني عندما وصلنا إلى القصر ووقف الملك ليقرأ بنفسه العبارات..

لقد توقف أمام العبارات التى تسب أمه نازلى، وكانت تقول:

- يسقط فاروق إبن ال..

توقف أمامها، ثم أنفجر يضحك ويقهقه بطريقته الهستيرية المعروفة وهو يقول:

- همه جابوا حاجة من عندهم.. تستاهل.. !!

* * *

كان فاروق شخصية عجيبة، وكان قلبه يفيض بالحقد والكراهية لأمه الملكة نازلى..

كان يكرهها ولم يكن يطيق أن ينطق أحد باسمها أمامه، وقد أعجبته كثيرا الشتائم التى كتبت ضدها..

ولم يتبادر إلى خاطره فى تلك اللحظة أن مثل هذه الشتائم كانت تسئ إليه قبل أن تسئ إليها..

وكان أن أمر بأن تبقى هذه الشتائم فى مكانها، وطلب أن لا يحاول أحد إزالتها..

قال: خلو الكلام ده زى ما هو علشان تعرف الناس بيقولوا عنها إيه؟ ..

وبقيت الشتائم على حوائط القصر لمدة أسبوع كامل حتى تدخل بعض رجال الحاشية، وكان أن عملوا على إقناع الملك بأن يأمر بإزالتها.. !

* * *

إن فاروق لم يكن يعرف الوفاء لأحد حتى لأقرب الناس إليه، ولذلك لم يكن له صديق أو صاحب بالمعنى المفهوم كما يقول المثل البلدي..

وأنا نفسى قد عشت فى تجربة مثيرة إلى جواره، وخاصة أثناء الأشهر القلائل التى سبقت الثورة..

وفى رأيي أنه كان أنانيا إلى أقصى حد..

وكان واقعا تحت سيطرة بعض عناصر الفساد من رجال حاشيته الخصوصية..

وأذكر ما حدث مرة عندما سمعته وهو يطعن المرحوم الفريق حيدر (باشا) فى ظهره..

وكان الفريق حيدر باشا قد حاول أن يقوم بنصحه، ولكن الملك لم يستمع إليه..

قال له: يا مولانا الناس بتتكلم عن سهراتك بعد منتصف الليل..

وثار فاروق فى وجه الفريق حيدر (باشا) وهو يقول له:

- مش ناقص إلا أنت كمان علشان تتدخل فى شئوني الخصوصية..

وكانت هذه النصيحة كافية لأن يقرر فاروق عدم السماح للفريق حيدر (باشا) بمقابلته مرة أخرى..

وتدخلت عناصر الفساد فى حاشية الملك الخصوصية لإثارة الملك ضد الفريق حيدر(باشا)..

وكان أن أقنعت الملك بأن يتخلص منه بإبعاده عن الجيش..

قالت للملك.. إن الفريق حيدر(باشا) (شاخ).. أى أنه تقدم فى السن، وأن موازينه قد إختلت.. وبالتالي فإن تخاريفه قد تزايدت..

وكان هدف هذه العناصر أن يؤدى إبعاد الفريق حيدر (باشا) عن الجيش أن تسنح لها فرصة التدخل فى شئونه..

ووافق الملك على التخلص من حيدر باشا..

ولكن حيدر باشا لم يستسلم، وكان أن وقف بحزم فى وجه الملك.. ولعلها أول مرة التى يعرف فيها عن الأزمة التى نشبت بينه وبين الملك فى تلك الأيام..

* * *

كنت شاهدا على تفاصيل ما حدث فى قصة الملك مع الفريق حيدر باشا..

ومما أذكره أن هذه القصة بدأت فى أوائل شهر مارس سنة ١٩٥٢ أى قبل الثورة بعدة أشهر..

كنت فى مكتبي فى شركة سعيدة للطيران عندما اتصل بى حيدر باشا فى التليفون، وطلب مني أن أوافيه بسرعة فى مكتبه قائلا.. إنه يريد استشارتي فى مسألة هامة للغاية...

وذهبت إليه ليبادرني بقوله:

- إيه ياسيدى حكاية محمد حسن، ماله وما لنا؟ ..

قلت له: حكاية إيه يا باشا؟..

قال لى: تصور.. الراجل ده حيودى البلد كلها فى داهية.. دخل فى دماغ الملك حكاية تعيين حسين فريد رئيسا لهيئة أركان حرب الجيش.. ودي حكاية بطالة خالص..

كان الفريق حيدر (باشا) يتكلم وهو فى أشد حالات العصبية والانفعال عن دور محمد حسن وراء رغبة الملك فى تعيين حسين فريد فى هذا المنصب..

قال لى: أعمل معروف عاوزك تقول للملك كلمتين إثنين.. قوله.. أنا مقدرش أتعاون مع حسين فريد، ومستعد أتعاون مع أى واحد من العناصر الأخرى فى الجيش.. وإذا أصر الملك على تعيينه.. أنا حاستقيل..

ولم يكن فى وسعى إلا أن أعمل على تهدئة ثورة حيدر(باشا) ثم وعدته بأن أتكلم مع الملك فى الموضوع..

وأخذ الرجل يروى لى كيف حاول حسين فريد أن يتحداه فى أحد اجتماعات نادى الضباط عندما تعمد أن يترك النادى بينما كان يلقى خطابا مما لفت أنظار الضباط وأثارسخطهم على حسين فريد..

وقال لى.. أن مركزه قد تحرج كثيرا، وأنه اضطر أن يتمالك نفسه، وأن يستمر فى إلقاء خطابه..

وأكثر من ذلك قال حيدر (باشا) إنه حاول أن يطلب مقابلة الملك، ليعترض على قرار تعيين حسين فريد رئيسا لهيئة أركان الجيش، ولكن الملك الذى كان واقعا تحت تأثير محمد حسن وعناصر الفساد فى الحاشية الخصوصية، أخذ يتهرب من مقابلته..

* * *

ذهبت إلى الملك ونقلت إليه رسالة حيدر (باشا) حرفيا..

وكانت مفاجأة عندما قال لى الملك:

- ياسيدى إذا كان عايز يستقيل يتفضل..

قلت له: يا أفندم مين يحل مكانه فى منصبه كقائد عام للقوات المسلحة..

قال الملك بسرعة وكان فى أشد حالات الانفعال: المنصب ده حألغيه ومش حأحط فيه حد خالص..

وأدركت أن الملك قد وجد الفرصة مواتية لكى يتلخص من حيدر(باشا)، ومما فهمته إنه كان يفكر فى استدعاء حيدر لمقابلته ليقول له هذا الكلام بنفسه، ولكنه أنتهز فرصة محاولتي التدخل وألقى على عاتقي مسئولية نقل هذه الرسالة إليه..

ولم أكن أعرف أن الموقف قد تأزم بين الملك وحيدر (باشا) إلى هذا الحد، كما لم يكن فى وسعى أن أتصور أن يقرر الملك التخلص منه بهذه البساطة..

* * *

شعرت بالحرج الشديد، فقد كانت تربطني بحيدر (باشا) صلة صداقة قوية، وكنت فى نفس الوقت أحترم الرجل، وأعرف مدى إخلاصه وتفانيه فى خدمة الملك، وقد عز عليّ أن أقول له: الملك بيقول لك يجب أن تستقيل..

وكان أن عدت إلى مكتبي حيث بقيت فيه أكثر من ساعتين وأنا أفكر فى المهمة التى ألقاها الملك على عاتقى قبل أن أتصل بحيدر(باشا) فى التليفون لأتفق معه على موعد للاجتماع به..

وأخير إستقر تفكيري على رأى، وهو أن أنقل إليه شطرا واحد من الرسالة ولكن مع التحريف المناسب حتى لا أجرح مشاعره..

وهذا ما حدث بالضبط عندما التقيت به..

قلت له: لقد تأثر الملك لتصميمك على الاستقالة، وقال لى بالحرف الواحد..

- اعمل إيه إذا كان حيدر عاوز يسيبني فى الوقت الحرج ده..

كما قلت له أيضا حتى أطيب خاطره:

- الملك كان زى اللى حيبكى لما سمع أنك عاوز تستقيل.. وقال لى.. أنه مش حيحط حد فى منصبك إكراما لخاطرك..

كنت أريد أن أقول له الملك يريدك أن تستقيل، ولكن بطريقة دبلوماسية مهذبة، ولكننى لم أستطع فقد خانني التعبير..

كنت أعرف خطورة التحريف الذى أدخلته على رسالة الملك، ومع ذلك لم أتردد فى تمثيل دورى والاستمرار فى اللعبة حتى آخر شوط فيها..

ولا أعرف كيف تطور الحديث بعد ذلك بينى وبين الفريق حيدر(باشا)، فقد استطعت إقناعه بأن يبقى فى منصبه فترة أخرى من الوقت..

قلت له: الوقت غير مناسب للاستقالة..

وكانت مناقشة طويلة انتهت بموافقة طويلة انتهت على مضض، على تعيين حسين فريد رئيسا لهيئة أركان حرب الجيش..

* * *

تركت حيدر (باشا) لأذهب إلى الملك فى نفس اليوم..

ولم يكن أمامى إلا أن أقوم بعملية تحريف أخرى، فى نقل آراء حيدر (باشا) إلى الملك وكان أن عكست صورة هذه الآراء وأنا أقول له:

- تصور يا أفندم حيدر(باشا) تألم بشدة عندما عرف أنك زعلت، وقال لى إنه لم يكن يريد أن تتطور المسألة لهذا الحد بمعنى أنه يستقيل..

كنت ألعب بالنار.. وأنا أحرف فى آراء حيدر(باشا)..

ولم أكف عن محاولتي لإصلاح ما بين الملك وحيدر(باشا)، إلا عندما سمعت الملك وهو يقول لى:

- طيب ياسيدى خليه قاعد..

قالها الملك وهو فى أشد حالات السخط..

وكان واضحا أن علاقته بالفريق حيدر(باشا) قد أنتهت تماما..

* * *

صدر مرسوم تعيين حسين فريد رئيسا لأركان حرب الجيش فى يوم ١٣مارس سنة ١٩٥٢، وكان هذا المرسوم قد تعطل لمدة عشرة أيام كاملة بسبب اتصالاتي مع حيدر(باشا)..

وكانت بعض عناصر الفساد فى الحاشية الخصوصية للملك قد حاولت فى تلك الأثناء أن تعرقل جهودي وحدث أن اتصل واحد منهم بى فى التليفون، ثم قال لى:

- إيه يا أخى حكاية حيدر بتاعتك؟ ..

قلت له: الملك عاوزه يبقى فى منصبه..

قال لى: يبقى فى منصبه إزاى.. هو أنت فاكر أنى كنت أتدخل فى المسألة إلا إذا كنت مالي أيدي من حسين فريد.. ده راجل عظيم..

قلت له: والله.. أنا لا أعرف حسين فريد.. وعمري فى حياتى ما كلمته كلمتين على بعض.. ولا أعرف زيد من عبيد.. وأنا كنت فى الحكاية كلها مجرد حامل رسالات من وإلى الملك.. !

وأنتفض صوت الرجل فى التليفون بالغضب وهو يقول لى:

- كان أحسن لك متدخلش فى الحكاية دى.. !

ولم ينتظر الرجل حتى أرد عليه، وقام بإغلاق سماعة التليفون..

أخذت أضرب كفا بكف بعد أن أنهى الرجل مكالمته التليفونية معى، محاولا أن أعرف ماذا كان يعنيه بمثل هذا الكلام..

وكان تصورى فى بادئ الأمر أنه يعمل على تهديدي حتى أكف عن التدخل فى الموضوع..

ولم يكن فى وسعى إلا أن أقنع نفسى بأنه كان يعبر عن سخطه بعد أن نجحت فى إقناع الملك، بالإبقاء على الفريق حيدر(باشا) فى منصبه..

وكل ما أستطيع أن أقوله هو أن حيدر باشا قد تعرض لمؤامرة دنيئة دبرها ضده بعض رجال الحاشية الخصوصية، وبعض أصدقاء الملك الذين وثق فيهم فجأة ورفعهم إلى مناصب الوزراء.. !

لقد أرادوا أن يتخلصوا منه حتى يتسنى لهم التدخل فى شئون الجيش..!

* * *

اصطحب فاروق ناريمان إلى أحد المسارح فى روما، وعندما ظهرت إحدى عشيقاته على المسرح، وضع يده على كتف ناريمان حتى يثير غيرة عشيقته وفجأة ترك ناريمان وحدها، وذهب ليلتقى بعشيقته وراء المسرح !